جامعة غليزان-أحمد زبانة
كلية الآداب و اللغات
محاضرة 7 مدونات نقد النقد:
ماستر 2 أدب جزائري

**1. تقديم:**

لقد كان للسانيات فضل على النقد الادبي من خلال استحضار الآليات و الأدوات التي يتوسل بها إلى معرفة الأدب و فحص النص عند تحليله، و عند هذه المحطة كما أشار عبد السلام المسدي يقف الناقد الادبي مسائلا المعرفة اللسانية فيما أتت به من خبرات فنية أماطت عن مكونات اللغة ألثمتها و كشفت عن خبايا الكلام، فجلّت كثيرا من مكنوناته و أبانت عن بعض أسراره عندما يتبدى في مراتب الفن و يترقى على مدارج الابداع[i].

فرغم ما وصلت إليه الممارسات النقدية سواء النقد القديم أو الحديث و المعاصر من ابتكار مناهج لقراءة الأدب و تركيب لآليات مستقاة من الحركة اللسانية تبقى الحاجة لنقد النقد ضرورة معرفية ملحة و في غاية الأهمية لرصد هذه الحركة النقدية و البحث في كيفية صنع جهازا متكاملا لقراءة النقد و التنظير لمنهج القراءة و الاشكالية التي طرحها الدغومي[ii] ما النقد الذي نريد؟و ما المعرفة النقدية التي نريد أن نعتمدها لحل المشكلات الأدبية و النقدية؟.

**2. بحث في مدونات نقد النقد:**

لقد أصبح مجال نقد النقد خطابا مفتوحا يلتقي فيه الجانب النظري و التطبيقي و قد شكلت مساهمات العديد من النقاد في العالم العربي و الغربي مدونة فعلية تؤسس لهذه المعرفة و إثراء جوانبها فاتسعت الحدود الفنية التي كانت تحكم النص و انفتح على آفاق ثقافية أخرى ساهمت في فهم النص و إعادة بنائه بصورة متجددة.

و يمكن تلخيص المدونات لنقد النقد من خلال وصف عبد الحكيم الشندودي في كتابه (نقد النقد، حدود المعرفة النقدية) أنها لا تخرج على ثلاثة نماذج أو ثلاثة مستويات من التصنيف:

1-ممارسة دون وعي بمصطلح نقد النقد.

2-ممارسة واعية دون تنظير واعي.

3-ممارسة واعية مع تنظير واعي.

إن الثقافة العربية في تمظهراتها النقدية الحديثة و خصوصا في مجال نقد النقد لم تخرج عن ثلاثة نماذج أثناء اشتغالها على تحليل النصوص النقدية يتحدد النموذج الأول في **تقويم النقد الأدبي دون استعمال مصطلح نقد** النقد (ممارسة دون وعي)،

أمـاّ النمـوذج الثـاني فينحصـر فـي انتاجـات اشـتغلت علـى **فحـص النصـوص النقديـة مـع اسـتعمال مصـطلح نقـد النقـد** (ممارسـة واعيـة دون تنظيـر واعـي)، أمـا المرحلـة الثالثـة و هـي معاصـرة نوعـا مـا، فقـد تمثلـت فـي **محاولـة تقـديم تصـور واضـح لنقـد النقـد،** ووضـع المعـايير التـي نسـتطيع مـن خلالهـا دراسـة نقـد النقـد كشـكل مسـتقل عـن النقـد الأدبـي (ممارسـة واعيـة مـع تنظيـر واعـي)، وهـذه المرحلـة يمكـن اعتبارهـا مرحلـة تأسيس فعلي لنقد النقد العربي[iii].

إن الآليـات المتجـددة التـي توفرهـا الوظيفـة النقديـة كانـت بسـبب التـراكم المعرفـي النـاتج عـن المنعطفـات الابسـتيمولوجية و الاحتكـاك بالثقافـة الغربيـة سـالكة مسـالك الحداثـة و مـا بعـدها جعلـت العقـل العربـي بحاجـة إلـى مراجعـة ذلـك المـوروث و إعـادة صـياغة رؤى مرجعيـة يعيـد مـن خلالهـا فحـص هـذا التـراكم المعرفـي النقـدي و انتـاج خطابـات فـي نقـد النقـد ووضـع أسـس و إجـراءات لهـذه الممارسـة خاصـة فـي ظـل مـا عرفـه الغـرب مـن منـاهج نقديـة معاصـرة و تـأثر النقـاد العـرب بهـذه المنـاهج إلـى حـد الانصـهار فـي هـذه النظريـات " فبـين حداثـة المنـاهج الغربيـة و تطبيقاتهـا العربيـة، بحكـم أن هـذه المنـاهج تصـل متـأخرة إلـى الفكـر العربـي، بعـد أن تفقـد قيمتهـا النظريـة و التطبيقيـة، و تسـتنفذ أغراضـها فـي سـياقها الأصـلي، و تتحـول إلـى معـارف معروضـة فـي متـاحف تـاريخ النقـد"[iv] مـن أبـرز الأعمـال الرائـدة و التـي نتمثلهـا حسـب اعتقادنـا مدونات لنقد النقد من خلال رصد لهذه الحركة التأليفية نجد:

-مرحلـة ممارسـة نقـد النقـد دون الاشـارة إليـه مصـطلحا و مفهومـا: و يمكـن أن نمثـل لهـذه المرحلـة مـا جـاء مـن ردود فـي كتـاب الموازنـة بـين شـعر أبـي تمـام و البحتـري (الآمـدي) و كـذلك مـا ورد مـن أفكـار فـي كتـاب الوسـاطة بـين المتنبـي و خصـومه(الجرجاني) و قـد عـرض الـدكتور إحسـان عبـاس لهـذه الأفكـار فـي كتابـه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب)[v].

مـن المـدونات النقديـة التـي حاولـت رصـد الممارسـة النقديـة داخـل الثقافـة العربيـة المعاصـرة مـا كتبـه محمـد مندور(النقـد المنهجـي عنـد العرب)و(النقـد و النقـاد المعاصـرون)، و (تـاريخ النقـد الأدبـي عنـد العرب)لإحسـان عبـاس. أو حتـى كتـاب محمـد بـرادة (محمـد منـدور و تنظيـر النقـد العربـي)ن و يمكـن أن نسـمي هـذه المرحلـة علـى راي أحـد البـاحثين انهـا مرحلـة الاشـارة العـابرة للمصـطلح دون التصـدي لتأصـيله و تحديد حقل اشتغاله و آلياته.[vi]

**3.محمدالدغومي نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر**

-أمـا مرحلـة نضـج المصـطلح نقـد النقـد أو الميتانقـد و اسـتقلال هـذا الحقـل المعرفـي مـع العمـل علـى وضـع أسـس معرفيـة و أطـر علميـة تتحـدد مـن خلالهـا ممارسـة نقـد النقـد فيمثلهـا كتـاب محمـد الـدغومي (نقـد النقـد و تنظيـر النقـد العربـي المعاصـر)، و كـذلك كتـاب (سـحر الموضـوع: عـن النقـد الموضـوعاتي فـي الروايـة و

الشعر ).و ما يدعم ذلك رأي الناقدة نجوى الرياحي القسنطيني عن كتاب الدغومي قولها: "و قد أفدنا من كتاب الدغومي إفادة كبرى، وإن كنا نعتب عليه اشتغاله داخل حقل معرفي متسع و عام –علاقات نقد النقد بالنقد الأدبي- فإن موقع نقد النقد من الدراسة و حظه من التحليل كان أقل مما يتوقع في كتاب يدور أساسا عن نقد النقد"[vii].

و من النقاد الذين اشتغلوا على المصطلح ذاته –نقد النقد- نجد الناقد العراقي محمد باقر جاسم في مقاله (نقد النقد أم الميتا نقد) يقترح ترجمة الميتا نقد فهو في نظره "ليس مجرد إضافة لغوية لكلمة النقد إلى نفسها، لكنه يعبر عن مستوى من الاشتغال المنهجي و المعرفي مختلف عن النقد الأدبي كما انه ليس بعيدا عن حقل اللسانيات و عن مصطلحات مثل الميتافيزيقا(métaphysique) و الميتا لغة (métalangage)"[viii].

أما جابر عصفور فيرى في كتابه(نظريات معاصرة) أنه من الافضل ترجمة مصطلح نقد النقد إلى النقد الشارح، و ذلك موازاة مع مصطلح اللغة الشارحة أو الواصفة؛ فالنقد الشارح "مفهوم يشير إلى نظام لغوي ثان، هو لغة شارحة لنظام لغوي أو هو لغة الموضوع و كما نظر إلى التاريخ الشارح بوصفه فلسفة التاريخ، و إلى فلسفة العلم بوصفها العلم الشارح، نظر إلى النقد الشارح بوصفه الخطاب النقدي عن طبيعة و أهداف النقد"[ix].

**4.تودوروف تزفيتان نقد النقد رواية تعلم:**

أما في الفكر الغربي فقد اقترن مصطلح نقد النقد مع كتاب تودوروف تزفيتان (نقد النقد رواية تعلم)، الذي عده عبد المالك مرتاض[x] من الأوائل إن لم يكن أول من اصطلح مصطلح نقد النقد صراحة، و منحه الاطار المنهجي و رسّخ له الاسس المعرفية، كما أنه دعا إلى الرؤيا الحوارية داخل الخطابات النقدية أو النقد الحواري كما نعته: " لهذا السبب أدعو هذا النقد حواريا إذ لا يمكن بلوغ الحقيقة التي أطمح إليها إلا بالحوار"[xi].

لقد كان لتودوروف في كتابه نقد النقد ممارسة تطبيقية و عملية لنقد النقد ذاته دون تنظير أو تأسيس فهو لم يقدم حتى تعريفا واضحا، لكن عمله في الكتاب تجلى من خلال مناقشة أعمال النقاد الآخرين يتضح ذلك من خلال محادثته لشخصية متخيلة متمثلة في بول بنيشو(P.Bénicho)الناقد الفرنسي المولود في تلمسان صاحب الرومانطيقية الفرنسية ، عن طريق إثارة أسئلة حول تعريف الأدب و الفن و الايديولوجيا و المناهج النقدية...الخ، وأتاح له حرية الرد فهو بذلك تعامل معه بوصفه شخصية في الرواية تتحرك و تتحدث بحرية من خلال السرد و الحوار، و هو ما دفع مترجم الكتاب سامي وسويدان للقول:" كان الأجدر بتودوروف أن يجعل

كتابه (حوار نقدي)، بدل أن يعتمد(نقد النقد)، لكن العنوان الثانوي (رواية تعلم) على ما يبدو أيضا، لها دلالة أدق، و ذلك لما يحفل به الكتاب من بعد روائي"[xii]، فكانت آراؤه النقدية بصدد أعمال النقاد الذين أختار الحديث معهم ، مع هيمنة السرد على الكتاب هيمنة واضحة، خاصة في الفصل الثامن (نقد حواري) إذ كان تودوروف يخوض في قضايا نقدية، و ترجمة أدبية عن أعماله و أعمال غيره من نقاد و مؤرخين و فلاسفة و مفكرين، و تودوروف نفسه يشير إلى البعد الذاتي حين يذكر أن المؤلفين الذين يدرسهم(لقد اخترتُ أولئك المؤلفين الذين شعرت بأن لهم الأثر الأقوى في نفسي ص12).

إن الغاية التي يريد بلوغها تودوروف في كتابه –من خلال التساؤل الافتتاحي-هي مزدوجة الثنائية كما يقول: التعرف على الأفكار الأدبية و النقدية في القرن العشرين، و تمييز الأصلح و الاصح بينها، وتحليل التيارات الايديولوجية للقرن من ذلك مواقف سبينوزا باروخ(Baruch-Spinoza). فالكتاب فيه إغراء بالقراءة كما يقول المترجم يحث قارئه على المشاركة فيها من خلال المسائل و القضايا النقدية و الثقافية و الفكرية التي يناقشها –و يدعو القارئ إلى الحوار بشأنها- و استعراض لأهم رموز النقد و الثقافة في أوربا من الشكلانيين الروس إلى بول بينيشو مرورا بجون بول سارتر و باختين و بلانشو موريس، و نورثروب فراي و حتى باختين نفسه.

**5.كتاب مقاربات في تنظير نقد النقد عبد العظيم السلطاني:**

تأتي أهمية الكتاب من خلال المحتوى المعرفي المطروح فقد تناول مصطلحات "النقد" و"النقد الأدبي" بوصفها بنية تحتية معرفية لـ "نقد النقد الأدبي"، فيما أخذت مصطلحات "نقد النقد" و"الانتقاد" و"الميتا نقد" منحى أكثر معرفية، بوصفهما بنية فوقية للكتاب في "نقد النقد الأدبي".

و يمكننا أن نقتبس ما كتبه أ. د عبد العظيم السلطاني في مقدمة كتابه "مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي"، هذا حيث: "هذا الكتاب يخوض في محورين رئيسين، أولهما مجال التنظير لنقد النقد الأدبي بوصفه خطابا، من حيث مفهوم نقد النقد الأدبي وطبيعته والمحاور التي يرتكز عليها وجوده، ومن حيث الحقل الذي ينتمي إليه. وهذا يستلزم وقفات تصنيفية للممارسات النقدية من حيث التنظير والتطبيق، ومن حيث طبيعة الموضوع الذي تشتغل عليه، والحقل الذي تشتغل فيه، فضلا عن طبيعة الأسئلة التي حرّكت الممارسة النقدية. ويبقى موضوع المصطلحات الدالة على مفهوم نقد النقد الأدبي موضوعا رئيساً في هذا الكتاب.

وفي ثاني محوري الكتاب خَوْضٌ في واقع تنظير نقد النقد الأدبي عند العرب خلال القرن العشرين. ليجيب المحور عن سؤال رئيس هو: هل للعرب نصيب من التنظير في مجال نقد النقد الأدبي في القرن العشرين؟ والإجابة عن هذا السؤال تستدعي أسئلة أخرى مثل: هل كان المنجز العربي في مجال تنظير نقد النقد الأدبي دالا على خصوصية نقدية عربية، أم هو جهد مبني على منطلقات نقدية غربية، شأنه شأن المنجزات النقدية الأخرى؟ وهل هو منجز متطابق من حيث منطلقاته التي يستند إليها فهمه، أم هو متنوّع المشارب والاتجاهات، حتى غدا تصنيف توجهاته أمرا ضروريا لغرض الفهم؟. وهل كان ذلك المنجز على درجة واحدة من الأهمية المعرفية؟". وهذه الأسئلة وغيرها يجيب عنها الكتاب من خلال جهود المؤلف التنظيرية في فصلين تضمن الفصل الأول نقد النقد الأدبي مقاربة المفهوم و الانتماء و المصطلح و الفصل الثاني: مقاربة في تنظير نقد النقد الادبي العربي في القرن العشرين.

---

[i]-ينظر عبد السلام المسدي، الأدب و خطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص75

[ii]-الدغومي محمد، نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط،ط1، 1999.

[iii]- ينظر نور الدين جويني، نقد النقد و آليات اشتغاله في الثقافة العربية –من التنظير إلى التطبيق-، مجلة إحالات ، العدد3، جوان 2019.

[iv]-محمد بوعزة نقد النقد جدلية النظرية و الممارسة، عالم الفكر الكويت عدد 199، سبتمبر 2016،ص125، نقلا عن نور الدين جويني، نقد النقد و آليات اشتغاله في الثقافة العربية –من التنظير إلى التطبيق،ص188.

[v]-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر ، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط4، 1983.

[vi]-ينظر رشيد هارون، الاسس النظرية لنقد النقد، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد2ن العدد1، حزيران2012، ص126 و ما بعدها.

[vii]-نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد و عوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، عدد1، مجلد83، أيلول 2009، ص35.

[viii]-باقر جاسم، نقد النقد أم الميتا نقد، ص110.

[ix]-جابر عصفور، نظريات معاصرة،ص273، نقلا عن نورالدين جويني نقد النقد، مرجع سابق،ص189-190.

[x]-ينظر عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد.

[xi]-تزفيتان تودوروف، نقد النقد، رواية تعلم، ترجمة سامي سويدان، دار الثقافة للشؤون العامة، الأغظمية بغداد، ص149.

[xii]-ينظر مقدمة المترجم، ص12.